Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم تُنشر السيرة الذاتية [1] التي كتبها ألتوسير إلا بعد واقعتين إثنتين: خنقه لزوجته هيلين يوم 16 نوفمبر 1980 الذي يصفه برهافة شعرية، منذ السطر الأول ل(المستقبل يدوم طويلا)، فيما يشبه التعبد والاستسلام لقدرية أليمة، ثم موته البارد، إذا جاز القول، بعد ذلك، بسنتين.

نلاحظ أن الكتابة إنما كانت لمقاومة الصمت الذي ألقى به في النسيان، ويفترض ألتوسير أن الجريمة التي ارتكبها والعفو الذي تمتع به (لاعتبارات كانت مثار نقاش في ذلك الوقت) يلزمانه بالشهادة. بل إنه يقطع ، فيما يشبه اليقين، بأن العفو الذي شمله لا يمكن أن يلغي وجوب الشهادة . بل إن العفو لم يكن في محله ، وكان عليه أن يمثل أمام العدالة . النص هنا تعبير عن حرمان، ولعل فيه بعض الاحتجاج المعنوي عليه، فيما تخترق الكتابةَ السيرذاتية حالةٌ مستديمة من البوح بقصد تأليف الجواب والتصريح به وفق السيرورة الزمنية والحدثية التي افترضها الكاتب للتصريح بالشهادة.

السيرة الذاتية، وهي التي تكشف هنا عن مسار الفرد وتقلبات حياته المادية والمعنوية، فضلا عن بيان الأفعال والمواقف والتصورا ت المعلنة والمرتكبة والمفكر فيها، معادل نصي للمثول. ومع ذلك فإننا لسنا أمام اعترافات طوعية أو مكرهة، بل في مقام التصريح الذي يصوغ البراءة اعتمادا على حجج عقلية وفلسفية وتربوية وسلوكية... إلخ. ألا يمكن أن نعتبر النص السيرذاتي هنا مقولا لهذه البراءة المتوخاة، حتى وهو، من الزاوية القانونية إذا شئنا، محاولة يائسة للإقناع بها؟. إن الجواب (La reponse) الذي قدمه في نصه السردي لا يخضع لقواعد المثول، الذي لم يتم، أمام القضاء ولا يتطابق مع الشكل الذي كان من الممكن أن يتخذة لو تم ، فيصبح التوجه إلى الجمهور غاية وإلحاحا في طلب المصداقية ؟.

إن ما يثير في هذا النص تلك المقصدية التي تتوخى الدفاع عن النفس في وجه التأويل الدارج الناتج عن فعل مرتكب (القتل) يقع تحت طائلة المعاقبة الزجرية. وأن العفو لا يلغي العقوبة ، بل يؤججها بصورة أخرى (الكتابة هنا). هل يمكن القول، إذن، إن الكتابة عن الذات تتضمن بالضرورة منظورين للأنا: كما أراها، وكما يجب أن تراها أنت. منظور الاختيار الذي يوجه الاستراتيجية الناظمة للقول، من خلال الكتابة، في ماضي الأنا، ومنظورالاضطرار الذي يمكن أن يحمل القارئ (المتلقي) على استقبال تلك الاستراتيجية والتفاعل مع حوافزها الكتابية.

---

1 - L'avenir dure longtemps, suivi de : Les faits, Stock 1992, Paris, 356 p.